

# أيه هي الزوجة الحقة ؟

بقلم : عبد الحميد العمروسي

حقاً وربى أسترشدكم! فقد ضللت الطريق بعد أن أعياني التعب ، وتنكبت السبيل بعد أن أضناني الوصب ، باحثاً منقّباً عن تلك التي تستحق بجدارة حمل هذا اللقب ، اللقب السامى ، لقب : « الزوجة الحقة » حيناً لجأت إلى مكالمة ذوى الخبرة فمأ بفهم ، فبعضهم أشار بالقروية الساذجة ، وآخرون أشاروا بالمدينة المتعلمة ، وحيناً استطلعت آراء الكتاب فى مقالاتهم ، والمتناظرين فى حوارهم وجدلهم ، فما ألفت إلا خلافاً فى الرأى أدى إلى التراشق بالأدلة الهدامة . أرشدونى إلى تلك التي تستطيع الاضطلاع بأعباء الزوجية على أتم وجه وأكمله : أهى القروية الجاهلة ، أم المدينة المتعلمة ؟ وإن لم تكن إحداها ، فمن هى إذن ؟ ذلك ما سأحاول توضيحه وإن قلت : أرشدونى ، فلست أقصد بذلك شخصى فقط ، بل أقصد أفراد جنس الشباب الذين يرغبون فى العثور على شريكة لهم يزين مفرقها تاج الزوجية السامى .

أما القروية الجاهلة ، فلا أرضيها زوجة ؛ لأمور ، منها :

تربية النشاء : الحياة الزوجية لا بد لها من مسرات تحقق السعادة ، وتجلب الرفاهية ؛ ومن مسراتها أن تشعر النفس وتحس أنها أنجبت بنين وبنات قد تمهدتهم يد العناية من الصغرفشبووا ونشئوا متوافرين على الخير ، مفلورين على الحرية وحب الوطن ، قادرين على حسن القيام بما أعدوا له ، لا ك شباب اليوم الذين عكفوا على المفاسد ؛ فمن لى بقروية تفهم طبائع الأطفال ، وتدرك نفسياتهم وميولهم وغرائزهم ، فتتمهدها بالرعاية والعناية حتى تنمرنمرها ، وتؤتى أكلها ؛ من لى بقروية تجعل من البيت حجرة دراسة يكمل فيها الأطفال ما فاتهم فى المدرسة ، وأنى لها كل هذا وهى التى تربت فى واد غير هذا الواد ؟

الميول والرغبات : إن الشريكين لا بد ، لدوام شريكتها : من توافق فى الطباع ، واتحاد فى الميول والرغبات ، وتقارب فى العقلية المدركة حتى يأنس كل بصاحبه ، ويركن إليه فى العقيدة عن ثقة واطمئنان ؛ وكيف لهذه أن تتحد وإياى على طريق واحد ؛ وكيف لها إذا خلوت بها أن تشبع رغبتى فى خوض نواح عدة من الأحاديث الممتعة ؛ بل كيف لها إذا جئت متعباً أن تتلمس مواضع التعب فى النفس فتسرى عنها بلسانها السلس وتخفف آلامها بحياها الضاحك ؛ كيف لها إذا رأتى مفضياً تجنبت استمرار مشاكستى ومعاندىتى واستفزازى ؛ كيف لها إذا أخطأت هى التقدير فى عمل أو قول أن تقبل النصيحة وتنصاع للإرشاد ؛ كيف لها كل ذلك وهى التى لا يمتد أفق عقلها إلى ما وراء الدار ، ولا إلى موضع خطوتها الثابتة ،

وهي التي لا تفهم من السعادة إلا أنها أكل وشرب؛ فهذا البون الشاسع في الادراك، واختلافه النظرة إلى الحياة، يخيل إلى أنه يجعل من المتعسر أن يستديم اتفاقنا، أو نطمئن إلى بعضنا، أو أن نخلد إلى الدعة والاستقرار، أو أن نهتصر بأيدينا غصون السعادة ...

حسن الذوق : من وظيفة المرأة الهيمنة على شؤون البيت، ولا أزم لصاحبة هذه الهيمنة من الحساسية : أعنى أنها تدرك وتشعر بالغث والسمين ، وتتأثر بتسيبها فرحا بنظافة موضع، واشتمزازاً وغضباً بقذارته أو سوء ترتيبه . فهذه الحساسية تدفع المرأة إلى تجميل كل ما تحت يدها من : أولاد، وثياب، ورياض، وهي التي تحمل الرجل على الاطمئنان إلى كل ما تقدمه له ، وهي التي تجعل من البيت روضة تستنشق فيها الأسرة أريج الهناء، وغير الراحة والهدوء . هذا النوع من الذوق لا تكفي فيه الوراثة، بل لا بد له من الدرس والتعليم حتى يتربى ويصير عادة ثابتة ؛ فالمرأة التي لم تهذب عقليتها، ولم تفهم ماهو سر الجمال، لا يرجى منها حسن نظام ولا جمال ترتيب وتنسيق؛ وكذا المرأة التي لا تدرس قوانين الصحة ولا تعرف الأمراض ومسبباتها، والجراثيم ومضارها، لا يمكن أن تعنى العناية التامة بأمر الصحة والنظافة، بل تكون إلى البلادة أقرب ، لا تقشعر إن رأت صديداً في عيني طفلها ، ولا تشمئز من تركه شهراً وشهرين بدون استحمام ، ولا ترى غضاضة من مضغ الطعام في فيها ودسه في فم طفلها، وهل المرأة الريفية توفرت لديها عادة حسن الذوق المنبعثة عن إدراك سر الجمال، وعن الدراية بخاطر إهال القوانين الصحية؟ كلا! فلا عجب إذا ألفيناها جامدة الذوق، خامدة الحساسية؛ ولقد شاهدت بعيني رجلا وأولاده وضيافاً — هو أنا — التفوا حول اخوان للغداء، والزوج تحضر لهم الطعام وهي فرحة جذلة، تحب في سذاجتها ، ولما انتهت وقفت مسندة ظهرها إلى الحائط وعلى قيد خطوات منهم عليها تسمع إعجابا بالطعام أو شكرآ له ، حيث يسرها أن يطرق مسمعها مثل هذا الاطراء، ولم تكتمف بهذه الوقفة ، بل أرادت أن تتدخل في الكلام ، أو على الأقل تسمعهم صوتها ، فقيم تكلم؟ في حديث تظنه مقبولا ، فاذا هذا الحديث أن قالت موجهة الكلام لبعلمها ما معناه : « بيت الأدب امتلاءً والرائحة التي تهب منه أماتت الأوز والبط ، فعجل ومر بنزحه وإخلائه » فلم تشعر إلا وطبق « الملوخية » يرز في صدرها ؛ على أنها إذا أرادت أن تتجمل جاء تجملها ناقصاً، فهي تلبس سروالاً نظيفاً، في حين لا تستحم ولا تستبدل بالقميص غيره، وإذا همت بنظافة آيبتها ورياضها فلا تقوم بذلك شعوراً بالنظافة والحسن ، بل حتى لا توصم بالاهال ، وحتى لا يغضب عليها الزوج فيبينها ...

فالقروية الجاهلة ليس في مكنتها الاضطلاع بتربية النشء ، التربية المرجوة، ثم لا تتقارب عقليتها من عقليتنا ، ولا تنفق ميولها وميولنا، ولا تحوز الحساسية الذوقية التي تدفعها إلى كل ما هو جميل ، ومن ثم نستطيع الحكم بأنها لا تستحق حمل هذا اللقب السامى ، لقب : « الزوجة الحقة » .

قد يقول أنصارها وأعوانها : إنها طاهرة القلب ، نقيّة السريرة ، محصنة ، عفيفة ؛ نعم : وإني لأقرهم على ذلك وأوافقهم ، ولكن : هل هذه الصفات وحدها هي الصفات التي يجب أن تتوفر في المرأة كربة بيت ؟ أظنهم يقررون معي أن هذه الصفات ما هي إلا ركن من أركان لا بد من توافرها جميعاً حتى تكون الحياة الزوجية : محبوبة ، سعيدة ، دائمة . على أني أرى سذاجة الريفية كثيراً ما تكون خطراً قل أن تنجو الحياة الزوجية من العنار فيه ، فهن كستار رقيق لا يلبث أن يتمزق ويبدو ما بداخله من اللحم والهوجاء ، وما أشد صلابة رأسها حالة غضبها، فلا يجديها منطق أو تحايل أو إرهاب ؛ فإن دنوت منها ملوحت بيدك صممت على العناد وتمادت في اللدد، وإن ابتعدت واستخدمت القول أطلقت لسانها من عقالة دون تدبر في العواقب ، وأسمعتك من ثرثرتها ما يذهب بحلمك ويطيش له عقلك، وهي في ذلك معذورة ، فالناحية العقلية منها راکدة ، وقوة الصبر مخنفة وسلامة الطوية غالبة.

وإذا كانت هذه هي الريفية وهذا هو أمرها ، فهل يأتري سنجد بغيثنا في المدنية المتعاملة أم ستوضع على الرف كما وضعت سابقتها ؟ سنرى ...  
أجد الكثيرين ينصحون بالابتعاد عن المدنية المتعاملة وعدم الوقوع في حبالها ، وإن سألتني وسألتهم عن علة ذلك أجبتك :

تربية النشء : لا أنكر، ولا يستطيع أحد أن ينكر، أنها تعرف من تربية النشء قدراً تمتاز به عن أختها الريفية، فالبيئة والمدرسة بلا مرأ أثرتا فيها وأوقفتها على حسن تعهد الصغار لو قامت هي بهذا التعهد؛ لكننا للأسف نرى الكثيرات منهن يعتمنين بما يجلب المدرسة لأتسهن ولا يأبهن لأمر أولادهن، فيتركن شأن هذه الجسوم النورانية والأرواح الملائكية للخدم، وما أشد هؤلاء خطراً على الناشئة من كل الوجوه، وما أقسام على الصغار في غيبة الأمهات، وكثيراً ما يكونون وساطة تعارف بين الفتاة ومن تحب، بل بين السيدة ومن تهوى .

تدبير المنزل : من الدعائم التي يبني عليها صرح الحياة الزوجية، ومجد الأسرة، حسن قيام المرأة بأمر بيتها بنفسها، وتقص هذا هو الداء العضال الذي لا يزال جرحه دامياً في بيوتنا، وأراني مضطراً إلى القول بأن المتعلمة فلما تحسنه، وأنى لها ذلك، وهي التي صرفت الشطر الأكبر من تعليمها في غير هذا الجانب؛ فبدل أن تتوافر على تعلم الطبخ والغسل والكي والكبس والحياكة، نراها أفنت شبابها في مسائل على الموسير، وفي تمارين على الزوايا المنفرجة والقائمة، وفي رسم شارع فيه شريطان يتلاقيان عن بعد، وكأني أتوقع غضبهن، أما أنا فلا زلت أقرر أن بعضهن لا يجدن طهي طبق أرز لضيف، أو حياكة قميص لصبي، وإنما يجدن حقاً التجميل والتزاور، والولع بالأزياء، واللف في المتاجر. على أنه ينبغي ألا يفهم أن هذا يمنع من أنه يوجد بينهن قليلات يستطعن اتقان القيام بالبيت ولوازمه؛ لكنهن

بالأسف يترفعن عن مباشرة ذلك بهذه الأيدي المدهونة الأظافر فيتركن الأمر فيه إلى غيرهن .  
المبول والرغبات : وإن كانت الريفية في الحضيض من الادراك فبعضهم يختارها عن

عالية الادراك مفضلاً أخف الضررين ؛ وهنا تعرض لى فكرة وهى : إذا كنا نميل ونرغب في الزوجة التى تهذب عقلها ، ونمت مداركها ، وأحاطت بعض الاحاطة بالعالم وما فيه، فستطيع مجاراتنا في شتى النواحي الكلامية ، ونستطيع التفاهم معها على أساس العقل والمنطق حتى تحسن علاقتنا، ويسودنا جو من الدعة والاستقرار. أقول: إذا كنا كذلك فلماذا يختار بعضنا الجاهلة دونها؟ يقولون نفس المرأة بطبيعتها تغلب عليها الناحية الوجدانية: وإذا كانت متعلمتنا في حيازة رجل ودفعها الوجدان وخيل إليها أنها في مرتبة ، إن لم تكن في مستواه، فهى أعلى منه فلا تقرر له بالرياسة، ولا ترى نفسها مجبرة على الخضوع لرأى مالم يوافق مزاجها؛ وهنا كل الخطر إن كان ذا شمم وإباء، وهذا النقص فى إدراك مركزها مرجعه إلى أنها لم تندرب فى حياتها المدرسية على معاملة الأزواج ، وكيف تفهم طبائعهم ، وتتشرب أغراضهم وميولهم . . .

قد يقول أنصارها وأعوانها: إن فيها رقة وظرفاً، نعم: إنها كذلك، ولكن متى؟ فى الوقت الذى تكون أنت فى حل منها ، ولم ترتبط وإياها برباط مقدس. فهى لا تزال تعطيك من ظرفها وعذب ألفاظها مادامت الصلة صلة بينك وبينها، وصدقة يرحى منها خير، فإذا ما انتقلت من حياة التعارف إلى حياة أخرى تتصل حلقاتها وتتوثق عراها توثقاً شرعياً ، فسرطان ماترى نظرك قد خدعك ، وسمعتك كذبك ، والسهام توجهت إلى فؤادك .

وإذا كان الأمر كما قد علمتم، وسمعتم ، أن الريفية يختارها فريق على جهلها خوفاً من متاعب المتعلمة ، وأن المتعلمة يرغب فيها بعضهم حباً فى ظرفها مع التفاضى عما سواه ، أفلا ترون معى أن بيئتنا المصرية تنقصها طبقة من الآنسات ينلن رضا الجميع ويحزن كل الثقة؟ أين هى هذه الطبقة التى تجمع إلى التعليم والالمام بشؤون تربية الصغار ، والخبرة بأمر المنزل ، والميل الحق إلى تعهد البيت بنفسها ، والشعور بأن الرجل هو هو صاحب الرياسة فى الأسرة وعلى كل أفرادها الخضوع له بالطاعة والاحترام .

لا ننسى أن فى البيئتين : الريفية والمدنية ، فتيات لا غبار عليهن ، ولكن : هل هن بالكثرة إلى درجة الراغبين ؟ إنا نطالب المسؤولين العمل على توفير هذه الطبقة المفقودة، فكل توان عن توفيرها عمل على تقادم كساد الزواج ، وجناية ضد أولانا القادمين ؟

عبد الحميد العمروسي